حياة أعظم الرسل

مِن أخلاق الرسول

الحِلم والصّبر والعَفو

مِن أخلاق الرسول

الحِلم والصّبر والعفو

حِلمُهُ وَصَبرُهُ وَعفوُهُ :

عُرِفَ مُحمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بِالْحِلمِ وَالصَّبرِ عَلَى مَا أَصَابَهُ مِنَ المَكرُوهِ ، عَمَلاً بِقَولِهِ تَعالَى : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِن عَزمِ الأُمُورِ ﴾ . أَيْ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنَ الأُمورِ الَّتِي تَحتَاجُ إِلَى عَزِيمَةٍ ثَابِتَةٍ ، وَإِرادَةٍ قَوِيَّةٍ .

وَقَولِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ اِستَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ، إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

فَكَانَ الرَّسُولُ صَبُورًا عَلَى الْأَذَى ، كَثِيرَ الْحِلمِ وَالِاحتِمَالِ ، وَالْتَمَسَ الْمَعْذِرَةَ (العُذرَ) لِمَن أَسَاءُوا إِلَيهِ مِن أَهلِ مَكَّةَ وَغيرِهَا قَائِلاً : « اَللّهُمَّ (يَا اَللهُ) اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُم لَا يَعلَمُونَ » .

وَحِينَمَا دَخَلَ مَكَّةَ ، وَانتَصَرَ عَلَى الْكُفَّارِ مِن قُرَيْشٍ خَافُوا ، وَاعتَقَدُوا أَنَّهُ سَيَنتَقِمُ مِنهُم ، فَقَالَ لَهُم : « مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُم ؟ » قَالُو : خَيرًا ، (أَنتَ) أَخٌ

كَرِيمٌ ، وَابنُ أَخٍ كَرِيمٍ . فَقَالَ : « اِذهَبُوا ، فَأَنتُمُ الطُّلَقَاءُ » (الْأَحرارُ) وَعَفَا عَنْهُم قَائِلاً : إِنِّى أَقولُ كَما قالَ أَخِي يُوسُفُ : « لَا تَثْرِيبَ(١) عَلَيْكُم الْيَومَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ ، وَهُوَ أَرحَمُ الرَّاحِمِينَ » .

وَذَاتَ يومٍ قَالَ رَجُلٌ لِلرَّسُولِ : اِعدِلْ ، فَإِنَّ هٰذِهِ قِسمَةٌ(٢) لَمْ يُقْصَدْ بِها وَجهُ اللهِ .

---

(١) لَا لَوْمَ .

(٢) كانَ النَّبىُّ يُقَسِّمُ الأَموالَ عَلَى المُستَحِقِّينَ مِن المُسلِمينَ فَقالَ لَه الرَّجُلُ هٰذا القَولَ الَّذى يَدُلُّ عَلَى سُوءِ الأَدَبِ .

فَبَيَّنَ لَهُ الرَّسُولُ الأَشيَاءَ الَّتِى لاَ يَعْرِفُها ، وَطَلَبَ لَهُ الرَّحمَةَ ، وَقَالَ لَهُ : « مَن يَعدِلْ إن لَمْ أَعدِلْ ، خِبْتُ وَخسِرتُ إن لَم أَعدِلْ » . وَأَرادَ أَحَدُ أَصْحابِ الرَّسولِ قتلَهُ فَمَنَعَهُ . فَالرَّسُولُ لَمْ يَغضَبْ ، وَلَم ينتَقِمْ مِن هٰذَا الرَّجُلِ ، وَلاَ مِن غَيرِهِ ، وَكانَ مَثَلاً عالِيًا لِلْحِلمِ وَالصَّبرِ ، وَالعَفوِ عَمَّن أَساءَ إِليهِ .

وَقَد جاءَ رَجُلٌ لِلنَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ لَهُ : أَوصِنِى .

فَقَالَ الرَّسولُ الحَلِيمُ : « لاَ تَغضَبْ » .

فَكَرَّرَ الرَّجُلُ قَولَهُ لِلنَّبِيِّ : أَوْصِنِى .

فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ : « لَا تَغضَبْ » .

وَهِىَ أَحسَنُ وَصِيَّةٍ يَجِبُ أَن نَتَحَلَّى بِهَا .

وَقَالَ : كَادَ (قَرُبَ) الحَلِيمُ أَن يَكونَ نَبِيًّا » .

كَعبُ بْنُ زُهَيرٍ يَذهَبُ إِلَى الرَّسولِ :

كَانَ كَعبٌ شَاعِرًا ، وَكَانَ ضِدَّ الرَّسُولِ وِالْإِسلَامِ . وَقَد غَضِبَ عَلَى أَخِيهِ حِينَ أَسلَمَ وَآمَنَ بِالرَّسُولِ ، وَكَتَبَ إِلَيهِ يَلومُهُ . فَكَتَبَ إِلَيهِ أَخُوهُ ، وَنَصَحَ لَهُ أَن يَتُوبَ وَيَندَمَ عَلَى مَافَعَلَ ، وَيَذهَبَ

لِمُقابَلَةِ الرَّسُولِ بَالمَدِينَةِ ، وَطَلَبَ الأَمَانَ مِنهُ .

فَجاءَ كَعبٌ إِلَى المَدِينَةِ ، وَنَزَلَ عَلى سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجهَهُ(١) ، فَأَتَى بِهِ عَلِيٌّ إِلَى المَسْجِدِ ، وَقَالَ لَهُ : هٰذا رَسُولُ اللهِ ، فَقُمْ إِلَيهِ ، وَاطلُبْ مِنهُ الأَمانَ .

فَسَمِعَ كَعبٌ كَلامَهُ ، وَقامَ إِلَى الرَّسُولِ ، وَذَهَبَ إِلَيهِ حَتَّى جَلَسَ بَينَ يَدَيهِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ قَائِلاً : يَارَسُولَ اللهِ ، إِنَّ كَعْبَ بنَ زُهَيرٍ قَد جاءَ يَطلُبُ مِنكَ الأَمَانَ ،

---

(١) لِأَنَّه لَم يَسجُدْ فى حَياتِهِ لِصَنَمٍ مِنَ الأَصنامِ . وَكَانَ أَوَّلَ مَن أَسلَمَ مِنَ الصِّبْيانِ .

وَتَابَ إِلَى اللهِ ، وَنَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ ، مُعلِنًا إِسلامَهُ ، فَهَل أَنتَ قَابِلٌ مِنهُ ذٰلِكَ إِن أَنَا جِئتُكَ بِهِ ؟

قَالَ الرَّسُولُ النَّبِيلُ : نَعَم .

قَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ كَعبُ بنُ زُهَيْرٍ .

فَقَالَ الرَّسُولُ : آلَّذِى[1] يَقُولُ مَا يَقُولُ ؟ وَقَامَ إِلَيهِ رَجُلٌ مِنَ الأَنصَارِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، دَعنِى[2] وَعَدُوَّ اللهِ أَضرِبْ عُنُقَهُ .

فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ الْحَلِيمُ : « دَعْهُ عَنكَ (اُتْرُكْهُ) ؛ فَإِنَّهُ قَد جَاءَنَا تَائِبًا نَازِعًا[3] .

---

(١) هَل هُوَ الَّذِى ؟ (٢) اُترُكنِى . (٣) مُسلِمًا ، مُقلِعًا عَمَّا ارتَكَبَهُ .

ثُمَّ أَخَذَ كعبٌ يُلقِي قصِيدَتَهُ (بَانَت سُعادُ) المَشْهورَةَ يَمدَحُ فِيهَا المُصْطَفَى إلَى أَن وَصَلَ إلَى قولِهِ :

إنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُستَضَاءُ بِهِ
وَصَارِمٌ(١) مِن سُيوفِ اللهِ مَسلُولُ(٢)

فَرَمَى رَسُولُ اللهِ بُردَتَهُ(٣) الشَّرِيفَةَ إلَيهِ ، وَعَفَا عَنهُ . وَقَد قَدَّمَ مُعاوِيَةُ بنُ أَبى سُفيانَ لَهُ فِيهَا عَشَرةَ آلافٍ ، فَقَالَ كَعبٌ ، مَا كُنتُ لِأُوثِرَ (لِأُفَضِّلَ) بِثَوبِ رَسُولِ اللهِ أَحَدًا . فَلَمَّا مَاتَ كَعبٌ أَرسَلَ

---

(١) سَيفٌ قاطِعٌ . (٢) سَلَّ السَّيفَ : أخرَجَهُ مِن قِرابِهِ .
(٣) البُردَةُ : كِساءٌ (ثوبٌ) أَسوَدُ مُرَبَّعٌ فِيهِ صِغَرٌ تَلبَسُهُ الأَعرابُ .

مُعاوِيَةُ إِلَى وَرَثَتِهِ عِشرينَ أَلْفًا ، فَأَخَذَهَا مِنهُم .

مُعَامَلَةُ الرَّسُولِ لِأَعدَائِهِ :

كَانَ صَفوانُ بْنُ أُمَيَّةَ مِن أشَدِّ أعداءِالرَّسُولِ . وَبَعدَ أَن انتَصَرَ عَلَى أَعدَائِهِ وَفَتحَ مَكَّةَ أَرَادَ صَفوَانُ أَن يَهرُب إِلَى جُدَّةَ[1] ؛ لِيُهاجِرَ بَحرًا إِلَى اليَمَنِ ، فَأَتَى أَحَدُ الصَّحَابَةِ لِرَسُولِ اللهِ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، إِنَّ صَفوَانَ سَيِّدُ قَومِهِ ، وَقَد خَرَجَ هَارِبًا مِنكَ ، لِيَرمِىَ نَفْسَهُ فِى البَحْرِ ، وَهُوَ يَطلُبُ الأَمَانَ مِنكَ . قَالَ

---

(١) مِينَاء عَلَى البَحرِ الأَحمَرِ .

الرَّسُولُ : صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : « هوَ آمِنٌ » .

قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَعطِنِى عَلامَةً يَعرِفُ بِها أَنَّهُ فِي أَمَانٍ . فَأَعطَاهُ الرَّسُولُ العَظِيمُ عِمامَتَهُ الَّتِى دَخَلَ بِها مَكَّةَ ، فَخَرَجَ بِها الصَّحَابِىُّ حَتَّى لَحِقَهُ وَهوَ يُرِيدُ أَن يَركَبَ السَّفِينَةَ .

فَقَالَ الصَّحَابِىُّ : يَاصَفوانُ ، أَبِى وَأُمِّى فِداءٌ لَكَ . لَا تُهلِكْ[1] نَفسَكَ . فَهٰذَا أَمَانُ رَسولِ اللهِ قَد جِئْتُكَ بِهِ .

---

(١) لاَ تَقتُلْ .

قَالَ صَفوانُ : إنِّى خائِفٌ عَلَى نَفسِى .

قَالَ الصَّحابِىُّ : إنَّ الرَّسُولَ مَثَلٌ لِلْحِلمِ وَالْكَرَمِ . وَأَخَذَ صَفْوانَ ، وَرَجَعَ مَعَهُ ، حَتَّى وَقَفَ بِهِ أَمَامَ رَسُولِ اللّٰهِ . فَقَالَ صَفْوانُ لِلْمُصطَفَى : إنَّ هٰذا يَقولُ إنَّكَ قد أَعطَيتَنى الْأَمَانَ عَلَى نَفسِى .

قَالَ الرَّسُولُ : صَدَقَ (فِيمَا قالَ) .

قَالَ صَفوَانُ : فَاجعَلنِى فِى أَمَانٍ مُدَّةَ شَهرينِ أَختَارُ وأُفكِّرُ فِيهِمَا .

قَالَ الرَّسُولُ الْحَليمُ النَّبيلُ : أَنتَ بِالخِيارِ أَربَعَةَ أَشهُرٍ .

فَالرَّسُولُ الْكَرِيمُ قَد عَفا عَن عَـدُوِّهِ اللَّدُودِ (الشَّدِيدِ الْخُصُومَةِ) ، وَأَرسلَ إِلَيهِ عِمامَتَهُ كَىْ يُطَمْئِنَهُ ، وَبَدَلاً مِن أَن يَجعَلَ لَهُ شَهرَيْـنِ لِلْخِيـارِ بَيـنَ الْكُفْـرِ وَالْإِسلاَمِ أَعطاهُ مُدَّةَ أَربَعَةِ أَشهُرٍ يُفكِّرُ فِيهَـا وَيَختـارُ ؛ كَـىْ لَا يُجبِـرَهُ عَلَـــى الْإِسلاَمِ . وَهـٰذَا هُوَ الْمَثَلُ العَالِى فِـى الْحِلمِ وَالْعَظَمَةِ الْخُلُقِيَّةِ . فَالْإِسلاَمُ لَمْ يُنشَرْ بِالسَّيْفِ .

مُعَامَلَةُ المُصْطَفَى لِقاتِلِ عَمِّهِ حَمزَةَ :

وَمِمَّن جَعَلَ الرَّسُولَ يَبكِى عَبْدٌ أَسوَدُ

حَقيرٌ ، اِسمُهُ وَحشِيٌّ . وَهوَ الَّذى قَتَلَ بِالْحَربَةِ حَمزَةَ بْنَ عَبدِ الْمُطَّلِبِ ، عَمَّ الرَّسُولِ ، وَكَانَ مِن أَكبَرِ أَنصَارِ الرَّسُولِ ، فُى نَشرِ الْإسلاَمِ ، وَدَافَعَ عَنهُ دِفاعَ الأَبطَالِ .

قَالَ وَحشِيٌّ : بَعدَ أَن فَتَحَ الرَّسُولُ مَكَّةَ والطَّائِفَ خَرَجتُ وَذَهَبتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ، وَوَقَفتُ بِجَانِبِه فَجأَةً أَشهَدُ أَن لَا إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمدًا رَسُولُ اللهِ .

فَلَمَّا رَآنِى قالَ : أ (أَنتَ) وَحشِيٌّ ؟

قُلتُ : نَعم ، يا رَسُولَ اللهِ .

قالَ : اُقعُدْ فَحَدِّثْنِي كيفَ قَتَلتَ حَمزَةَ ؟

قالَ وَحشِيٌّ : فَحَدَّثتُهُ عَنِ الطَّريقَةِ الَّتِي بِها قَتَلتُ حَمزَةَ . فَلَمَّا انتَهَيتُ مِن حَدِيثِي قَالَ : « وَيحَكَ (كَلِمةُ رَحمَةٍ) ! غَيِّبْ (أَبعِدْ) عَنِّي وَجهَكَ ، فَلا أَرَيَنَّكَ » .

قالَ وَحشِيٌّ : فَكُنتُ دائِمًا أَبتَعِدُ عَن رَسُولِ اللهِ ، فِي كُلِّ مَكانٍ كَانَ فيهِ ؛ خَوفًا مِن أَن يرانِي ، حَتَّى اختارَهُ اللهُ (مَاتَ) .

وَقد كَانَ فِي استِطاعَةِ الْمُصْطَفَى أَن يَأْمُرَ بِقَتلِهِ أَو تَعذيبِهِ ، وَلٰكِنَّهُ صَفَحَ عَنهُ ،

وكُلُّ مَا فَعَلَهُ أَنَّهُ كانَ لَا يَنظُرُ إِلَى وَجهِهِ ؛ لِأَنَّهُ طَعَنَ حَمزَةَ بِالرُّمحِ حَتَّى أَخرَجَ أَحشاءَهُ (أَمعاءَهُ وَمَصارِينَهُ) مِن بينِ ضُلوعِهِ .

مُعَامَلَتُهُ لِمَن كَانَ يُفَكِّرُ فى قَتلِهِ :

كانَ رَسُولُ اللهِ يَطوفُ بِالْكَعبَةِ فِى مَكَّةَ ، فأَرادَ (فُضالَةُ بْنُ عُمَيرٍ) أَن يَقتُلَهُ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِن مُحمَّدٍ قالَ : أَ (أَنْتَ) فُضالَةُ ؟

قَالَ : نَعَم : فُضالَةُ يا رَسُولَ اللهِ .

قالَ الرَّسُولُ : مَا (الَّذِى) كُنتَ

تُحَدِّثُ بِهِ نَفسَك ؟

قالَ : لَا شَىءَ ، كُنتَ أَذكُرُ اللهَ تَعالَى .

فَضَحِكَ النَّبىُّ ﷺ ، ثُمَّ قالَ لَهُ : اِستَغفِرِ اللهَ . ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدرِهِ فَسَكَنَ قَلبُهُ .

فَكانَ فُضالَةُ يُقولُ : وَاللهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَن صَدرِى حَتَّى كانَ أَحَبَّ خَلقِ اللهِ إِلَىَّ .

وَهٰذِهِ أَمثِلَةٌ لِنُبْلِ الرَّسُولِ ﷺ وَعَظَمَتِهِ فِى أَخلاقِهِ . يُحسِنُ إِلَى من أَساءَ إِلَيهِ ، وَيَعفُو عَمَّن ظَلَمَهُ ، وَيَصفَحُ عَمَّن أَرادَ قَتلَهُ .